

الوفاء عهد مع الله وميزان للصدق وحصن للحقوق بين الناس



الجمعة 18 سبتمبر 2026 05:00 م

يعتبر الوفاء جزء من الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، ومن أعظم القيم التي يقوم عليها صلاح الفرد واستقامة المجتمع؛ فهو عنوان صدق الإنسان، وبرهان أمانته، ودليل سلامة فطرته وقوة إيمانه [1] وقد أولى القرآن الكريم هذا الخلق عناية عظيمة، وربطه بالإيمان والتقوى والبر، ورتب على التمسك به الأجر والثواب، فقال الله تعالى: (وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ يُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: 10]. فالوفاء ليس مجرد سلوك اجتماعي محمود، بل عبادة يتقرب بها المؤمن إلى ربه، ويؤدي من خلالها الحقوق إلى أصحابها، ويحفظ العهود والمواثيق التي التزم بها [2]

ولا يقتصر مفهوم الوفاء في الإسلام على العهود الكبرى أو المواثيق المكتوبة، وإنما يشمل علاقة العبد بربه، وعلاقته بأسرته وأقاربه وجيرانه وزملائه، وما يجري بين الناس من معاملات مالية وتجارية وعقود ووعود وأمانات [3] ومن هنا يصبح الوفاء أساساً للأمن الاجتماعي والثقة بين الناس؛ فإذا حفظ الإنسان عهده ووعدته وأمانته استقامت المعاملات واطمأنت القلوب، وإذا انتشر الغدر ونقض العهود وضياع الحقوق، تفككت الروابط وساد الشك والعداء، ولهذا جعل القرآن الوفاء من صفات أولي الألباب والصادقين والمتقين والأبرار [4]

الوفاء علامة صدق الإيمان

جعل القرآن الكريم الوفاء بالعهد من العلامات الظاهرة لأصحاب العقول السليمة والإيمان الصادق، فقال سبحانه: (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يُؤْفَوْنَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يُنْقِضُونَ الْمِيثَاقَ) [الرعد: 19-20]. فأصحاب الألباب لا ينظرون إلى العهد باعتباره كلمات تقال ثم تنتهي، وإنما يدركون أن الالتزام به مسؤولية دينية وأخلاقية يحاسب الإنسان عليها أمام الله تعالى [5]

وأكد القرآن المعنى نفسه عند الحديث عن حقيقة البر، فقال سبحانه: (وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْيَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [البقرة: 177]. فالوفاء هنا يأتي ضمن منظومة متكاملة من الإيمان والعبادة والبذل والصبر، ثم يختم الله وصف أصحابها بأنهم أهل الصدق والتقوى [6]

وجاءت السنة النبوية لتبين خطورة الوجه المقابل للوفاء، وهو إخلاف الوعد وخيانة الأمانة [7] فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» متفق عليه [8] وفي رواية لمسلم: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم». وهو تحذير بالغ من اعتياد إخلاف الوعد والخيانة والكذب؛ لأنها خصال تناقض كمال الإيمان وتفسد علاقة الإنسان بربه وبالناس [9]

ومن عظمة الوفاء أن الله سبحانه وصف نفسه بكمال الوفاء فقال: (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) [التوبة: 111]. فإذا كان الله سبحانه لا يخلف وعده، فإن المؤمن مطالب بأن يتخلق بما أمره الله به من الصدق والوفاء، وأن يكون عهده مصوناً ووعدته محترماً [10]

العقود والعهود أمانة ومسؤولية

جاء الأمر القرآني صريحاً شاملاً في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) [المائدة: 1]. وافتتاح الآية ببناء الإيمان يحمل دلالة عظيمة؛ فكأن الوفاء بالعقود من مقتضيات الإيمان الذي أقر به العبد، فلا يليق بمن آمن بالله أن يتلاعب بالعقود أو يتحايل عليها أو يأكل حقوق الآخرين بعد أن رضي والتزم [11]

والعقود تشمل ما يتعاقد عليه الناس في البيوع والإيجارات والشراكات والعمل والزواج وسائر الحقوق المشروعة، كما يدخل في معنى الوفاء كل عهد صحيح ألزم الإنسان نفسه به [١] ولهذا لم يجعل الإسلام الالتزام بالعقود مسألة شكلية، بل ربطها بالمسؤولية أمام الله [٢]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «المسلمون على شروطهم» فيما صح من معناه، وهو أصل عظيم في احترام الشروط المعتبرة والالتزامات المشروعة التي يتفق عليها الناس [٣] كما شددت السنة النبوية على الوفاء بالعهد حتى مع غير المسلمين ما دام العهد قائماً، فقال صلى الله عليه وسلم: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً» رواه البخاري [٤]

وهذا يبين مدى خطورة نقض العهود، وأن الإسلام لا يبيح للمسلم أن يجعل اختلاف الدين أو المصلحة الشخصية ذريعة للغدر بمن أعطاه عهداً وأماناً [٥]

والوفاء يبدأ من الأمور التي قد يراها البعض صغيرة؛ فالوعد للأبناء، والاتفاق بين الزوجين، وموعد العمل، والدين الذي التزم الإنسان بسداده، والأمانة التي استودعها عنده صاحبها، جميعها صور يتجلى فيها الصدق أو يظهر فيها التقصير [٦]

الميزان والحقوق لا تحتل الغش

من أبرز صور الوفاء التي كررها القرآن الوفاء بالكيل والميزان، لما يترتب على ذلك من حفظ أموال الناس وأرزاقهم [٧] فقال تعالى: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) [الأنعام: 152]، وقال سبحانه: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) [الإسراء: 35].

فالإسلام لا يقبل أن يحقق الإنسان ربحه على حساب ظلم غيره، ولا أن يستفيد من جهل المشتري أو حاجته أو ضعفه، لأن المال الحلال لا يُبنى على الغش والبخس والخيانة [٨]

وقد ظهر هذا المعنى بوضوح في قصة نبي الله شعيب عليه السلام مع قومه، إذ جمعوا بين الانحراف العقدي والفساد الاقتصادي، وشاعت بينهم الممارسات التي تنقص حقوق الناس [٩] فقال الله تعالى: (وَإِلَىٰ عَادِ بْنِ أَدَمَ شُعَيْبٌ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذِكُّكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) [الأعراف: 85].

وتكشف الآية عن قاعدة أخلاقية واسعة: (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ)، فهي لا تتعلق بالميزان وحده، بل تشمل كل انتقاص متعمد لحقوق الآخرين، سواء في المال أو الأجر أو العمل أو المعاملة [١٠]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا» رواه مسلم [١١] فالغش لا ينسجم مع أخلاق المجتمع المسلم الذي يقوم على الأمانة والوضوح وحفظ الحقوق [١٢]

الأنبياء أعظم نماذج الوفاء

قدم القرآن الكريم في حياة الأنبياء نماذج عملية عظيمة للوفاء، وفي مقدمتهم إبراهيم عليه السلام الذي بلغ في امتثاله لأمر الله منزلة رفيعة حين رأى في المنام أنه يذبح ابنه، ورؤيا الأنبياء وحي، فاستجاب الأب والابن لأمر الله [١٣]

وحين ظهر صدق إبراهيم واستسلامه ناداه ربه سبحانه: (يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) [الصافات: 104-105]. فكان الموقف نموذجاً فريداً في الوفاء مع الله والتسليم لأمره، حتى جعل الله إبراهيم عليه السلام إماماً وقُدوة [١٤]

ويظهر الوفاء أيضاً في قصة يوسف عليه السلام، الذي تعرض لأشد صور الأذى من إخوته حين ألقوه في البئ، ثم بيع بعيداً عن أبيه وأسرته، وعاش سلسلة طويلة من المحن، حتى مكن الله له في الأرض [١٥]

ومع ذلك لم يدفعه الماضي إلى الظلم أو الانتقام، بل ظل أميناً في أداء الحقوق، فقال لإخوته عندما قدموا إليه: (أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) [يوسف: 59]. فالإنسان الوفي لا يجعل ظلم الآخرين له مبرراً لظلمهم، ولا يسمح للأحقاد أن تحولوه إلى شخص يخون الأمانة أو يهدر الحقوق [١٦]

وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظم الناس وفاءً؛ حفظ العهود، ورد الأمانات، ووفى لأصحابه وأهل بيته، وظل يذكر فضل من أحسن إليه حتى بعد مرور السنين [١٧] ومن ذلك وفاؤه للسيدة خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة» لما كان يكثر من ذكرها وإكرام صديقاتها، والحديث متفق عليه في أصله [١٨]

جزاء الوفاء أجر عظيم

لم يكتف القرآن بالأمر بالوفاء، وإنما كشف عن الجزاء العظيم الذي ينتظر أهله، فقال تعالى: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۖ يُؤْمِنُونَ بِالْغَدْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) [الإنسان: 5-7].

وقد سمي الله أصحاب هذه الصفات أبراراً، وذكر وفاءهم بالنذر باعتباره دليلاً على قوة الإيمان؛ فالإنسان الذي يفي بما ألزم نفسه به لله يكون أكثر حرصاً على أداء ما أوجبه الله عليه

ولهذا كان التفاوت الحقيقي بين الناس عند الله مرتبطاً بالتقوى، وليس بالمال أو المكانة أو النسب، فقال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ) [الحجرات: 13]. ومن أعظم آثار التقوى أن يراقب الإنسان ربه في كلمته وموعده وعهده وماله وعمله، سواء رآه الناس أم لم يروه

إن الوفاء ليس خلقاً مثالياً بعيداً عن واقع الحياة، وإنما ضرورة لحماية الأسر والأسواق ومؤسسات العمل والمجتمعات بأكملها فالزوج الوفي يحفظ أسرته، والصديق الوفي يصون المودة، والعامل الوفي يؤدي أمانته، والتاجر الوفي يحفظ أموال الناس، وصاحب الدين الوفي يحرص على أداء ما عليه، والمسؤول الوفي لا يخون ما أوّمن عليه

وإذا عاش الناس بهذا الخلق قلت الخصومات، وحفظت الأموال، واستقرت البيوت، وانتشرت الثقة، وأصبح التعامل بين الناس قائماً على الصدق بدلاً من الريبة والخوف أما حين يصبح نقض الوعد والغدر والتحايل أموراً معتادة، فإن المجتمع يفقد واحداً من أهم أسس استقراره

وهكذا يتبين أن الوفاء من مقاصد الأخلاق القرآنية الكبرى، فهو جسر يصل الإنسان بربه، ويصل أفراد المجتمع بعضهم ببعض وقد جمع القرآن أهله في مراتب رفيعة، فوصفهم بأولي الألباب والصادقين والمتقين والأبرار، ووعدهم بالأجر العظيم فمن أراد أن يعرف مقدار ما في قلبه من صدق، فليُنظر إلى عهوده ووعداته وأماناته: كيف يحفظها؟ وكيف يؤدي حقوق أصحابها؟

فاللهم اجعلنا من أهل الصدق والوفاء، وأعدنا من الغدر والخيانة ونقض العهود، وأعنا على أداء الحقوق إلى أصحابها، واجعل أخلاق القرآن حكمة لأقوالنا وأعمالنا ومعاملاتنا، حتى نلّقاك وأنت راضٍ عنا، إنك ولي ذلك والقادر عليه